

**مجموعته أكدت قدرة “الغزال العربي” على مواجهة الغرب**

**طلال أبو غزالة: العمل الشاق والقدرة على تحمّل المعاناة من أسباب نجاحي**



شهدت منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط في ظل اقتصاداتها المزدهرة ميلاد واحد من الإمبراطوريات الاستثنائية والأكثر غرابة في مجال الأعمال في العالم العربي . وهي تعتمد في الوقت الراهن على الشبكة العنكبوتية لتمكينها من الامتداد والتوسع على مستوى العالم . يقول طلال أبو غزالة، ذو الخمسة والسبعين عاماً، الذي أسس مجموعة طلال أبو غزالة منذ 40 عاماً خلت ولا يزال يترأس مجلس إدارتها، إن مجموعته قد تجاوزت مفهومه الأصلي المتمثل بأن تصبح مجموعة عربية متعددة الجنسيات . “بصفتي عربياً كنت أفكر في إيجاد شيء للعرب يمكنهم ان يفخروا به، ويتمثل ذلك بنوع من الأعمال التجارية الدولية التي لم تكن موجودة من قبل”، قال أبو غزالة . “اعتباراً من اليوم أصبحنا مؤسسة دولية، وليس مجموعة عربية فحسب” .

في البداية، تأسست المجموعة في الكويت في عام 1972 كشركة محاسبة، ومن ثم أصبحت مجموعة طلال أبو غزالة عبارة عن شبكة معقدة من الشركات التي تقدم خدمات الأعمال في جميع أنحاء المنطقة وأبعد من ذلك.

إنها تعمل الآن في كل بلد عربي ولديها أكثر من 70 مكتباً في جميع أنحاء العالم، من بينها بلدان مثل أفغانستان والصين والولايات المتحدة. وتغطي الشركات الأعضاء خدمات تتراوح بين خدمات الاستشارات الإدارية وحماية الملكية الفكرية وتقديم المساعدة القانونية للاستشارات التعليمية وحلول تكنولوجيا المعلومات وإدارة العقارات.

إنها مثال نادر لمجموعة شرق أوسطية ازدهرت عن طريق تطبيق سياسات الشركات الغربية المتعددة الجنسيات في المعرفة وإدارة الأعمال التجارية التي كانت تهيمن عليها مثل تلك الشركات تقليدياً.

وقال مفلح عقل، وهو مستشار بارز ومصرفي سابق في الأردن “عندما شرع طلال أبوغزاله في مشروعه الخاص في الكويت، لم يكن هناك سوى عدد قليل من شركات المحاسبة العربية، وكانت الأسماء الأجنبية الكبيرة هي التي تسيطر في الخليج”.

“ومع ذلك تمكن طلال أبوغزاله من النجاح رغم كل الصعاب والمنافسة القوية من شركات المحاسبة الأجنبية التي كان لها نصيب الأسد من الأعمال التجارية في منطقة الخليج”.

ويقول أبوغزاله إنه يخطط الآن لتوسيع نطاق عمل مؤسسة طلال أبوغزاله إلى جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا وإلى أمريكا الجنوبية وأوروبا الشرقية، وإلى تقديم خدمات الكترونية تلبي احتياجات العملاء في المناطق التي ليس للمؤسسة تواجد جغرافي قوي فيها .

وطلال أبوغزاله وُلد في يافا - فلسطين لأسرة من ملاك الأراضي، حيث دفع تقدم القوات “الإسرائيلية” طلال أبوغزاله ووالديه إلى الانتقال إلى إحدى قرى جنوب لبنان . وقد حصل طلال أبو غزالة على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية في بيروت من خلال منحة دراسية للأمم المتحدة.

ويقول طلال أبو غزالة إنه درس تحت أضواء الشوارع في بيروت حيث لم يكن لديه كهرباء في مكان إقامته، كما عمل مترجماً من الإنجليزية إلى العربية ومحاسباً في سوق الخضار قبل حصوله على وظيفة في القطاع الخاص في الكويت في عام 1960 .

وقد بقي طلال أبو غزالة في الكويت حتى غزو صدام حسين لها عام ،1990 الأمر الذي دفعه إلى الانتقال بالمقر الرئيسي لمؤسسته إلى العاصمة الأردنية - عمان . ويتمتع طلال أبو غزالة بالجنسية الأردنية، إضافة إلى الجنسية الكندية.

ويعزو أبو غزالة جزء من نجاحه إلى هيكل مجموعة طلال أبوغزاله غير الاعتيادي . إذ يقول، خلافاً للعديد من شركات المحاسبة والقانون الكبيرة في الغرب، إنها ليست شراكة تقليدية، إنها مملوكة على شكل من أشكال الثقة يتمتع فيها الشركاء بحصة من الأرباح من دون امتلاك أي حصة في أسهمها، مما يسهل استبدال كبار المديرين عند الضرورة، إضافة إلى التمكن من التخطيط بمرونة .

وقال أيضاً، إن ذلك ساعد مؤسسة طلال أبوغزاله على التوسع في البلدان العربية وغيرها من البلدان التي تفرض قيوداً على ملكية المستثمرين الأجانب. ونظراً لأن المؤسسة لا تملك بنية المساهمة التقليدية، فإنها كانت قادرة على التعامل مع مثل هذه القيود والشروط بسهولة نسبياً.

ومن خلال هيمنة مؤسسها ومشاركة أفراد أسرته المكونة من ابنين وابنتين فإن مؤسسة طلال أبوغزاله تعد مثالاً للشركات العائلية العربية التقليدية .

وبطريقة أخرى، فان مؤسسة طلال أبوغزاله تطبق ثقافة عمل صارمة وهذا أمر نادر الحدوث في كثير من بلدان المنطقة . فهي توظف أكثر من 3 آلاف موظف يجب عليهم ارتداء ملابس داكنة وربطات عنق وقمصان بيضاء أو رمادي أو أزرق فاتح ولا يسمح بارتداء السترات والسراويل . كما أن أبو غزالة يفرض تطبيق أسلوب ونمط المؤسسة عند كتابة المذكرات.

مثل العديد من منافسيها، فان مؤسسة طلال أبوغزاله لا تكشف عن إيراداتها أو أرباحها، وعليه يصبح الحكم على مواطن القوة والضعف في مركزها المالي صعب جداً . ويقول أبو غزالة، لقد نمت العائدات بنسبة لا تقل عن 10% سنوياً في السنوات الأخيرة، وأنه يتطلع إلى تحقيق نمو بنسبة تتراوح بين 20-25 % هذا العام.

وقال أيضاً، “لقد ساعدتنا الأزمة العالمية في بعض المجالات، حيث زاد الطلب المقدم للشركات بخصوص بعض الخدمات التي نقدمها”.

يقول أبو غزالة، إنه ليس لديه أي خطط للحد من دوره في إدارة المؤسسة مع تقدمه في السن. ويتوقع بأن يكون لانتفاضات “الربيع العربي” التي هزت الشرق الأوسط العام الماضي فوائد للاقتصادات من خلال إلغاء المصالح الرسمية التي كانت تعيق المنافسة .

وقال، على سبيل المثال، قبل الربيع العربي كانت مؤسسة طلال أبوغزاله لا تستطيع تقديم خدمات التدريب في مجال تكنولوجيا المعلومات في مصر لأن “أصحاب المصالح الخاصة في الحكومة” وفروا احتكاراً فعالاً لبرنامج منافس يستفيدون منه .

وأضاف، أنه لم يكن باستطاعته تقديم خدمات في ليبيا لأن المقربين من سيف الإسلام، نجل الدكتاتور الليبي المخلوع معمر القذافي، كانوا يصرون على المشاركة . بينما يرى أبو غزالة الآن فرصا لتقديم الخدمات في كلا البلدين.

ويريد أبو غزالة أيضاً استخدام الشبكة العنكبوتية لتوسيع نطاق توظيف مؤسسة طلال أبو غزالة للعاملين الكترونيا في مجالات متعددة مثل الترجمة وتصميم مواقع الإنترنت . وهذا من شأنه خلق فرص عمل في الدول العربية التي تفرض قيوداً اجتماعية أو أمنية جعلت إمكانية العمل فيها بالغة الصعوبة.

وقال أبو غزالة، يتم معظم العمل من خلال الإنترنت لمؤسسة طلال أبو غزالة في المملكة العربية السعودية من قبل النساء . إذ يمكنهم ذلك من العمل بسهولة من المنزل علماً بأنه من الصعب جداً بالنسبة لهن العمل في المكاتب التي يهيمن عليها الرجال. كما تستطيع المرأة في الأراضي الفلسطينية المحتلة أيضاً العمل من خلال الإنترنت.

تهدف مؤسسة طلال أبو غزالة هذا العام إلى إطلاق “الجامعة الافتراضية” العالمية لموظفي الشركات وذلك باستخدام شبكة الإنترنت لتعليم المهارات المهنية والأعمال التجارية واللغات والمواد الأكاديمية. ويتوقع أبو غزالة انه “في غضون 20 عاماً لن يكون هناك أي مبان للجامعات”، حيث إن التعليم عبر الإنترنت سوف يحل محل تلك المباني.

وتقوم الشركات الأكثر ثراء في العالم بتنفيذ مثل هذه الأفكار . ومن المرجح إن تؤدي خطط التوسع لمؤسسة طلال أبو غزاله إلى جعل المنافسة مع الشركات الغربية المتعددة الجنسيات أكثر شراسة، وذلك للدفاع عن الأسواق التي كانت تهيمن عليها . ومن غير الواضح ما إذا هيكل المؤسسة غير التقليدي سوف يستمر في تقديم المساعدة لها بصفتها مؤسسة تجارية عالمية تماماً.

ولكن يرفض أبو غزالة الإيحاءات التي تفيد بأنه كان محظوظاً في السبعينات عندما أطلق مؤسسته، حيث تصادف ذلك مع الطفرة النفطية العربية في فترة لم يدخل فيها معظم منافسيه الغربيين منطقة الخليج بعد . كما أنه يرفض فكرة أنه لا يمكن تطوير مؤسسات متعددة الأغراض مشابهة في المنطقة اليوم .

“يقول الناس في بعض الأحيان إن الأمور كانت أسهل في ذلك الوقت وهذا غير صحيح أيضاً. لقد كانت الأوقات دائماً صعبة في بعض المسائل وما قمت به يمكن تكراره مرة أخرى إذا كان لديك القدرة على العمل الشاق والقدرة على تحمل المعاناة”. (رويترز)

<http://www.alkhaleej.ae/portal/7c3b0cbf-1f8f-478c-aae4-93f4e756c2bc.aspx>